افتتاحية

ليئورة بيلسكي

يصدرُ العدد ٤١ بعد مرور عامين على موجة الاحتجاجات الاجتماعية التي اجتاحت البلاد في صيف ٢٠١١ . هذا العدد مقسّم إلى قسميْن: في أحد أقسامه سيجد القرّاء مجموعة من المقالات من تحرير أوري رام وداني فيلك . كُتبت المقالات في هذه المجموعة بعد وقت قصير من انطلاق موجة الاحتجاجات ويسعى كتّاب هذه المقالات إلى فهم هذه الاحتجاجات من منظور مختلف، والوقوف على تداعياتها والعوامل التي أدَّت إلى حدوثها . إلى جانب هذه المقالات، في القسم العام من هذا العدد قمنا بتجميع مقالات تتعاطى من وجهات نظر مختلفة وعبر مناهج بحثية متنوِّعة مع قضايا تتعلّق بالهوية، وبالثقافة وبالرواية المؤسِّسة لدولة إسرائيل . وبذلك، فإنّ هذه المقالات تلقي الضوءَ على بعض الزوايا التي بقيت مجهولة لدى التيار الرئيس للاحتجاجات على الأقل .

تناول الكثيرون وسوف يستمرون بتناول قضية تأثير الاحتجاجات على السياسة الإسرائيلية . السؤال الذي أرغب في طرحه، انسجامًا مع توجه مجلة **نظرية ونقد**، يوجّه نظرة نقدية ارتدادية للنظرية السياسية في إسرائيل: هل بالإمكان أن نعتبر تلك الاحتجاجات الاجتماعية نقدًا للأجندة السياسية التي تلتزم بها مجلة **نظرية ونقد**؟ في المقال الذي كتبته ميخال بن نفتالي بمناسبة مرور عشرين عامًا على إصدار مجلة **نظرية ونقد** فإنّها تشير إلى الجدلية الخصبة القائمة بين العنصرين الاثنين في عنوان المجلة: نظرية ونقد. بناءً على أقوالها فإنَّ العلاقة بين هذين المكوِّنين ضرورية: «نظرية تشكّل قاعدة للنقد [. . .] وكذلك النقد الذي يسعى لتحويل، صقل وتحديث النظرية التي خرج من رحمها»[1] . أنا بدوري أقترح قراءة العلاقة بين جزئي العدد الحالي من هذا المنظور .

تعنى مقالات مجموعة مقالات الاحتجاجات بالواقع السياسي الجديد الذي يتشكَّل أمام أعيننا وتتفحّص بنظرة ثاقبة وناقدة البدائل التي ارتأت الاحتجاجات أن تقترحها على السياسة القديمة . في غضون ذلك، فإنَّ هذه المقالات تبحث في الاحداثيات الجديدة للنقاش السياسي، وكذلك في التقاطعات والانقسامات، والمركز والأطراف في الاحتجاجات، والأهم من ذلك كلّه، اللغة السياسية التي أرادت ترسيخها . كما تناقش هذه المقالات الخصائص الطبقية والجيلية لهذه الاحتجاجات، وتبحث في طبيعة المطالب الرئيسة الخاصة بها- مطالب عالمية (باسم «الشعب») لتغيّير سياسات اقتصادية-اجتماعية . لقد أقصت الاحتجاجات قضايا رئيسة في الخطاب السياسي في إسرائيل، وفي مقدّمتها الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وكذلك التوتّر أو التناقض بين الغرب والشرق، لصالح خطاب موحِّد وتصالحي . المطالب العالمية للمواطن والمواطنة تجاه الدولة والمؤسَّسات السياسية التي كانت في صلب الاحتجاجات، طمست العلاقات العميقة بين الفوارق الطبقية وبين الفوارق القومية والإثنية .

1 ميخال بن- نفتالي، ٢٠١٠ . "الآباء والبنون: عشرون عامًا **لنظرية ونقد**»، **نظرية ونقد** العدد ٣٧ (الخريف)، ص ٢٢٣-٢٣٢ . يظهر الاقتباس في ص ٢٢٧ .

كيف تسلّط مقالات القسم العام الضوء على العملية النقدية التي ابتغت الاحتجاجات أن تفعلها في الخطاب السياسي في إسرائيل؟ إذا كانت بن نفتالي محقَّة في أقوالها في أنَّ مجلة **نظرية ونقد** قد انبثقت من خلال أزمة في اللغة السياسية التي تطوَّرت في إسرائيل، من خلال «رفض الانخراط في اللاهوت السياسي الذي توفّره هذه اللغة، والرغبة في إيجاد طريقة بديلة من أجل الحديث عن القضايا السياسية خارج النموذج السياسي الذي تقترحه»[2]– السؤال الذي يُطرح، ما هي الأزمة التي في الهوية التي أشارت إليها الاحتجاجات؟ ما هي اللغة السياسية الجديدة التي تبحث عنها؟ وهل تشكّل أيضًا نقدًا للأجندة السياسية التي طرحتها المجلة خلال عقدين منذ بداية صدورها؟

من بين القضايا التي تناولتها مجلة **نظرية ونقد** بشكل ملحوظ كانت قضية الصّراع الإسرائيلي الفلسطيني، والتي تمَّت مناقشتها من منظور ما بعد الصهيونية (post-Zionism)، وكذلك ذاكرة المحرقة، ونوقشت القضية الأخيرة من خلال رفض إخضاعها للرواية القومية، وكذلك رسم ملامح المواطنة في إسرائيل، ومن ضمن ذلك البحث عن صيغة مدنية علمانية بديلة للصيغة التي تقرّرت في التسعينيات– صيغة الدولة "اليهودية والديمقراطية". كانت الكتابة النقدية التي ظهرت في هذه المجلة تميل إذًا إلى تيار الكتابة ما بعد الصهيونية. هل الرسالة التي تصدر عن هذه الاحتجاجات تعني أنّه بغية تطوير نقد سياسي لواقع الحال الإسرائيلي يتوجّب أن ننحّي جانبًا القضايا التي كانت في صلب النقاش في هذه المجلة؟ هل الاحتجاجات تندمج مع ظهور كتابة بعد ما بعد الصهيونية[3] (post-post-Zionism) كتلك التي لا تلقي بالاً للقضايا السياسية الرئيسة التي كانت في صلب الاهتمامات البحثية في **نظرية ونقد**، بغية التعامل مع الحياة اليومية للفرد، وقضايا الاقتصاد والمجتمع؟ وربما أنّ الانتقادات المنبثقة من هذه الاحتجاجات الاجتماعية تطرح سؤالاً ليس بخصوص اختيار القضايا بل بشأن مجرّد الفصل الذي نشأ في إسرائيل بين النظرية النقدية وبين الممارسات السياسية؟ هل تشير هذه الاحتجاجات إلى نوع من ألمشاركة السياسية المدنية والتي لم تستطع المجلّة من تحقيقها على الرغم من التزامها المبدئي بالدمج بين المكوّنين اللذين يتكونّ منهما عنوان المجلة؟

ما الذي نعرفه من خلال هذه المقالات التي في القسم العام عن هذا التوتر؟ ماذا تعلّمنا هذه المقالات عن الممارسة النظرية النقدية في إسرائيل في الوقت الراهن؟ هل هناك وجود لجدار عازل للصوت يفصل بين مقالات منتدى الاحتجاج والقضايا التي تتناولها وبين المقالات التي في القسم العام؟ ولعلّه في واقع الأمر ومن خلال قراءة هذه المقالات جنبًا إلى جنب بالإمكان أن نبدأ بملاحظة ملامح تواصل وتشابه بينها؟ على سبيل المثال، هل من أجل الاهتمام والتعاطي مع المواضيع الاجتماعية الاقتصادية هنالك ضرورة للفت النظر بعيدًا عن قضية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؟ وربّما هناك طريق آخر للتعامل مع هذه القضية، من خلال ربطها بالتاريخ الاجتماعي والثقافي والذي لا يشكّل فصلاً صارمًا بين «السياسي» و«الاجتماعي»؟ من جهة أخرى، فلعلّ الاحتجاجات بالذات تتماهى مع مقالات القسم العام بغية محاولة إيجاد طريق جديد للجمع بين المواطن والسياسة، من خلال تعريف السياسي من جديد. ما هي البدائل التي تقترحها مقالات القسم العام للكتابة النظرية والنقدية؟ هل بوسعها الدمج بين المواضيع التي كانت في صلب النقاش في المجلة، دون إهمال الأفكار الجيدة التي تزخر بها المقالات الخاصة بالاحتجاجات.

2 المصدر السابق، ص ٢٢٥.

3 Asaf Likhovsky, "Post-Post-Zionist Historiography," Israel Studies 15(2), 2010, 1-23.

أما بخصوص البحث عن لغة سياسية جديدة، فإنّ مقال **عاموس نوي** يذكّرنا أنه من المستحسن البداية مع كلمة وحيدة. يكتب نوي عن كلمة بالإيديش ("يَهْنْدِس") التي وردت في قصيدة الشاعر أبوت يشورون "تجاوز الكُوى". تعتبر هذه القصيدة الأولى والوحيدة والنادرة التي تناولت النكبة»: «عندما أُخِذَ أبي وأمي / إلى المحارق أُخِذَا / أمرونا «يَهْنْدِس» لا نغفل/ وبولندا لا ننسى». في صلب هذا المقال هنالك مسألة نسيان الكلمة التي تعبّر في لغة الإيديش عن الضمير، الرأفة، والأخلاق الراسخة، وهي متأتية من كلمة "يهودية". رغب الشاعر يشورون في إعادة الكلمة إلى اللغة العبرية وفي الآن ذاته استخدامها على نحو ضمني وذلك من خلال ربطها بكارثة الفلسطينيّين. حسب أقواله، «فإنّ محرقة يهود أوروبا وكارثة العرب في هذه البلاد هي كارثة واحدة وهي كارثة الشعب اليهودي. كلتاهما ماثلتان أمامنا». هذه القراءة الأخلاقية كانت فيما يبدو من الصعب تقبلها بالنسبة لقرّاء الشاعر يشورون، والذين كان ردّهم على الكلمة التي حاول إدخالها للخطاب السياسي عبر التجاهل، وسوء الفهم أو السخرية. يستعيد نوي تاريخ كلمة « يَهْنْدِس» ويستحضر الجدل حول مدلولاتها ويدّعي أنَّ ضياع معنى الكلمة يعكس محو المدلولات (Signifieds) التي تشير إليهم: "الصمت على الدمار المادي والروحي ليهود بولندا [. . .] "نفي الشتات" الصهيوني والمثقف [. . .] والتنكّر للنكبة".

وانتقالاً من الكلمة التي تربط بين الأخلاقية وبين اليهودية، يسترعي مقالان اثنان انتباهنا لمعاينتهما فكر اثنيْن من الفلاسفة اليهود – عمانوئيل لفيناس وهربرت ماركوزه – وتساؤلهما كيف منح هذان الفيلسوفان معنًى أخلاقيًا لهويتهم اليهودية وللمحرقة اليهودية ولدولة إسرائيل. يكشف مقال **يعيل لين** عن العلاقة الوثيقة القائمة بين علم الأخلاق الجديد الذي يرغب لفيناس في ترسيخه وتأسيسه وبين هويته اليهودية. تتوقّف لين عند الحدث العرضي لسيدنا موسى الواقف على جبل نَبُو وتحاول تحليله، وعلى غرار فكرة الخصوبة الخاصة بلفيناس، فإنها تقترح أن نعتبر قصة موسى كتعبير عن الطريقة التي تتوسّع فيها الإمكانيات أمام موسى عبر النظر إلى مسئوليته الأخلاقية تجاه أبناء شعبه: "بالإمكان اعتبار إمكانية دخول الأرض الموعودة مفتوحة أمام موسى عبر اللقاء مع الآخر– أي شعبه، وأبنائه – الداخلين إلى البلاد". وتجمل الكاتبة مقالها من خلال فحص العلاقة بين الجانب الأخلاقي وبين الجانب السياسي في فكر لفيناس من خلال تناول موقف لفيناس تجاه إسرائيل بوصفها دولة وفكرة مسيحانية.

في حين إن فكر لفيناس بإمكانه المساهمة في كشف الإمكانيّات الأخلاقية التي كانت متجسّدة في قيام دولة إسرائيل والتي لم تتحقَّق، تساعد كتابات هربرت ماركوزه في فهم أهمية الفكر النّقدي في لحظة حدوث الواقعة السياسية. يبيّن **تسفي تاوبر** في مقاله أنّه خلافًا للفيناس، فإنَّ ماركوزه يفصل بين هويته كيهودي وبين موقفه الفلسفي الماركسي والإنساني. على الرغم من أنه لم يتناول بشكل مباشر محرقة يهود أوروبا، فإنَّ الهمَّ الأول والرئيس لدى ماركوزه كان «النضال ضد إمكانيَّة ظهور نظام قمعيٍّ من جديد [. . .] بما في ذلك النضال ضد احتمال تكرار عملية إبادة شعب». لقد أيَّد مارِكوزه إسرائيل نظرًا لأنّه اعتبرها عاملاً بوسعه منع حدوث تكرار المحرقة التي حلَّت باليهود، ولكن هذا الدعم وهذا التأييد لم يصاحبهما تبنّي الموقف الدّيني الذي يرى بأن هنالك صلة وعلاقة انتماء بين أرض إسرائيل وشعب إسرائيل. على العكس من ذلك: استنادًا إلى التصوَّر الإنساني فإنّه اتّخذ موقفًا جماهيريًا واضحًا إزاء الظلم الذي تسبّبت به دولة إسرائيل بحق الفلسطينيّين. ولم يتلخّص موقفه بالنّقد بل إنه اشتمل على الدعوة لتصحيح هذا

الظلم، ليس من خلال إعادة العجلة إلى الوراء بل من خلال التوصّل إلى تفاهم مع الجيران العرب وبشكلٍ عمليّ عبر إقامة دولة فلسطينية بجانب دولة إسرائيل وتحقيق المساواة التامة للمواطنين العربً في إسرائيل.

هنالك عامل مشترك آخر يربط بين مقالات هذا العدد ألا وهو دراسة العلاقة بين النسيان (والذاكرة) وبين تشكيل الهوية الإسرائيلية. في حين يعود مقال نوي المذكور إلى الهويّات المتعدّدة التي حذفت بعد قيام الدولة من خلال التركيز على كلمة واحدة طمس ماضيها وكذلك مدلولاتها، يكشف مقال **أور ألكسندروفيتش** عن طمس التعدّدية الاجتماعية، تلك التعدّدية التي كانت تعتمد الاختلاط وعدم الفصل في الحياة اليومية في فلسطين/ أرض إسرائيل. اختار الباحث أن يؤكّد على ذلك عبر استحضاره التاريخ الحيّزي الحضري لشمال يافا وجنوب تل أبيب، حيث سكن اليهود والعرب جنبًا إلى جنب. يرفض الباحث الفكرة السائدة التي ترى بهذه المنطقة حيّزًا مقسّمًا بين حيّ المنشية العربي وبين الأحياء اليهودية المحيطة به، ذلك الحيّز الذي كانت فيه "الهوية القومية ملازمة بالضرورة لعملية التكوين ولطابع تشكيل النسيج الحضري". يدعي الكسندروبيتش إنه منذ تسعينيات القرن التاسع عشر ولغاية أواخر عشرينيات القرن العشرين كان يُنظر إلى الحيّز الحضري في شمال يافا على أنه مكوَّنٌ من منطقتيْن منفصلتيْن- ضاحية جنوبية أطلق عليها اسم "نافيه شالوم" (واحة السَّلام) لدى الناطقين بالعبرية و"المنشية" لدى الناطقين بالعربية، ومنطقة فقيرة في الشمال أطلق عليها اسم "حارة التَّنك" (حارة الصفيح). لقد سكن اليهود والعرب بجوار بعضهم البعض في هاتيْن المنطقتيْن، وكان الفصل بينهم يعتمد الفوارق الاجتماعية الاقتصادية، إذ شكّلت الهوية القومية أو الدينية للسكّان بنظرهم أهمية ثانوية فقط. لقد مرّت الحدود المعتمدة بين تل أبيب ويافا والموضوعة في العام ١٩٢١ داخل حيّ نافيه شالوم/ المنشية، وتحوّلت إلى حقيقة هامة منذ الثلاثينيات فقط، في أعقاب استفحال الاستقطاب القومي.

أما مقالة **تليلة كوش-زوهر** فتعنى بذاكرة المحرقة في إسرائيل من خلال قراءة طيف واسع من الأعمال الأدبية الخاصة بالجيل الثاني عبر المنظور النسوي. تسعى الكاتبة كوش-زوهر إلى إسماع ما تفسّره هي على أنه الصوت النقدي لهذه الأعمال الأدبية، وهو صوت يرفض الاستعمال المشبّع بالنزعة العسكرية والعنيفة فيما يتعلّق بذاكرة المحرقة في إسرائيل. وكأنّ هذه الأعمال الأدبية تضع في المركز بطلات «ضعيفة»، أو أنها تلتزم الصمت كمَن ترى في نفسها الممثل الحقيقي للذاكرة، والتي تعبّر عن رفض للواقع العنيف وللمظالم التي تنتجها الذاكرة المهيمنة.

كذلك يحتل الأدب بوصفه صوتًا نقديًا مكان الصدارة في مقال **حنان حيبر**، والذي يقوم بفحص الرؤية التي حملتها الاحتجاجات الاجتماعية في مقابل الإمكانية البديلة بشأن الهوية المدنية التي اقترحها أنطون شمَّاس في كتاباته وهي الإمكانية التي لم تحظَ بالقبول في إسرائيل. يعود حيبر مجدّدًا إلى قراءة رواية **أرابيسك** لشمَّاس، بوصفها أولى المحاولات الشجاعة لكاتب عربيّ يكتب بالعبرية من أجل تكوين أدب يؤسّس لقومية إسرائيلية جديدة (بديل عن القومية اليهودية)، يشارك فيها اليهود والعرب على قدم المساواة. اعتمادًا على رأي حيبر، فإنّ الشعار الرئيس لاحتجاجات صيف ٢٠١١، «الشعب يريد عدالة اجتماعية»، يعبّر عن الواقع السياسي الحالي الذي ينطوي على فكرة أن دولة إسرائيل، بوصفها جسمًا يمنح ويحقّق الهوية الجماعية، قد ضعفت، ولكن من جهة أخرى، لم ينشأ بديل حقيقي لهويتها، وبدلاً من ذلك فقد نشأت هويات متعدّدة وروايات قومية وإثنية وطبقية وجندرية ليس بمقدورها أن تندرج داخل إطار هوية قومية واحدة.

وأخيرًا، ففي مقابل اللغة التصالحية والجامعة التي اعتمدتها الاحتجاجات في بحثها عن هوية مشتركة بديلة، تسعى **ياعيل مشعالي** إلى مناقشة ممارسات عملية الاحتجاج والصعوبات التي وقفت في طريقها، وبخاصة عندما تكون هذه العملية ملزمة بالتغلّب على الفصل بين الهويّات والجماعات والفئات المختلفة. تؤكّد مشعالي على أهمية الغضب كأداة للاحتجاج السياسي، وكذلك على مخاطره أيضًا. وتشير إلى أنَّ تبنّي الغضب وطمس مشاعر أخرى بوصفها غير ذي صلة بالعملية السياسية، من شأنه استنساخ الفصل بين الناشطين والناشطات، ذلك الفصل النابع من الأيديولوجيا القمعية، وهي الأيديولوجيا ذاتها التي تسعى الناشطات إلى مقاومتها. ونظرًا لمركزية الغضب كأداة مؤسّساتية، تدعو الكاتبة إلى التفكير مجددًا «متى يحفّزنا الغضب إلى الفعل، ومتى يعمي بصيرتنا من رؤية استحداثنا مظالم جديدة تغذي الغضب أو تخرسه لخدمة الغضب نفسه».

يختم قسم «بين الكتب» القسم العام في هذا العدد، وهو مكرَّس هذه المرة للكتب والأفلام التي تتناول العلاقة بين الجيش والمجتمع في إسرائيل. وحتّى هذه القضية التي لم تحتلّ مركز الصدارة في الاحتجاجات الاجتماعية، تثير التساؤل بشأن اللغة السياسية الجديدة وطبيعة سلّة الأدوات النقدية الجديدة التي تمنحها لنا الاحتجاجات، سواء من أجل مناقشة مكانة الجيش في المجتمع المدني، أو مناقشة السياسة الاقتصادية الاجتماعية في إسرائيل، والتي يوجد للمكوّن الأمني فيها أهمية كبيرة جدًا. يحلّل مقال **يوفال بنزيمن** ثلاثة أفلام نقدية تتناول حرب لبنان الأولى. يدّعي بنزيمن أنَّ الأفلام الثلاثة تعرض محدودية الخطاب النقدي، كما ظهر النقد الجماهيري الاجتماعي بعد حرب لبنان الثانية، والذي على الرغم من التوجّهات الجديدة فيه، لا يخترق حدود الإجماع القومي، وهو حذر في تناوله الظروف السياسية الواسعة، وفي نهاية المطاف فإنه يؤكّد على أشكال معينة من التّضامن الاجتماعي ويتحاشى طرح الأسئلة التي تطعن في هذه الحدود. أقوال شبيهة جدًا بالإمكان ادعائها حول النّقد الذي ظهر خلال الاحتجاجات الاجتماعية في صيف ٢٠١١ وكذلك بالنسبة لمحدوديتها.

يتناول مقال **أساف دافيد** العلاقات العسكرية المدنية في إسرائيل والكتابة الواسعة في هذا المجال، ويحاول توفير أجوبة حول أسئلة من هذا القبيل: هل إسرائيل هي عبارة عن جيش له دولة؟ هل يوجد مجتمع مدني في إسرائيل؟ هل بالإمكان ضمان السيطرة المدنية على الجيش، وكيف؟ يستعرض دافيد الخلافات النظرية في مجال العلاقات العسكرية المدنية في العالم، ويستعرض التوجّهات المختلفة في هذا المجال في إسرائيل. وفي ختام مقاله فإنّه يثير بعض التساؤلات بشأن إطار التحليل المتعارف عليه، الذي يعاين إسرائيل من مناظير غربية، ويتجاهل «المسألة العربية» في سياق العلاقات العسكرية وكون إسرائيل أقرب في هذا المجال إلى الدول الأخرى، النامية، غير الغربية. وحتَّى هنا تبرز مقارنة مثيرة لموضوع الاحتجاجات الاجتماعية وتحليل دراستها، وخاصة بالنسبة للعلاقة، وأحيانًا العلاقة المكبوتة، بين احتجاجات صيف ٢٠١١ وبين «الربيع العربي»، وبالنسبة للمكانة الرئيسة لسياسة الأمن والاحتلال الإسرائيلي في إطار توجّهها السياسي العسكري.

هذا هو العدد الأخير من مجلة **نظرية ونقد** الذي أقوم بتحريره، وكما يبدو فإن الأسئلة الحادّة التي تطرحها الاحتجاجات بخصوص الخطاب السياسي في إسرائيل بشكل عام، وبشأن الكتابة النقدية على الأخص، هي فرصة جيّدة لإلقاء التحية الأخيرة. قامت مجلة **نظرية ونقد** قَبل فترة وجيزة بافتتاح موقع ألكتروني جديد لها والذي بوسعه فتح المجال للتواصل مع جمهور جديد، وفتح قنوات جديدة للحوار، والتعقيب والنقد. أودُّ تقديم الشكر لكل الفريق الذي مدّ يد العون

وكدّ في العمل، لسكرتير وسكرتارية هيئة التحرير، وللأعضاء والعضوات في هيئة التحرير والهيئة المصغَّرة.

أتقدم بشكر خاص لمحرّري قسم «بين الكتب» يولي نوفك وينيف رونئيل. كما وأشكر المحرّرة اللغوية نعمه بنحاسي على مهنيتها ورحابة صدرها. شكر جزيل لمريم فايلر، مساعدة البحث، ومستشارة وصديقة. كما وأشكر المحرّرة والمخرجة سارة سورني، التي ساعدتني في المراحل الأولى لعملي، وللدكتورة تال كوخافي التي رافقتني في الأعداد الأخيرة. شكر خاص للدكتور جبرئيل موتسكين، الذي أولاني ثقته وتعاون معي خلال فترة عملي. وأخيرًا، أشكر جميع أعضاء فريق العمل والباحثين في معهد فان لير في القدس، الذين جعلوه مكانًا بإمكان مجلة **نظرية ونقد** التطوّر والازدهار بين ظهرانيه. أرجو النجاح الكبير للمحرّر الجديد الدكتور إيتان بار يوسف.